البعد الأكاديمي والتربوي في ظاهرة نزول القرآن الكريم منجماً

بقلم

د/خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة قطر

drhafezi68@gmail.com

الحمد لله الذي علم القرآن وخلق الإنسان وعلمه البيان. والحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأكرم، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار ومن سار على هديه ما دام الليل والنهار، أما بعد؛

فلقد شاء البارئ عز وجل أن يكون نزول القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منجماً حسب الوقائع والأحداث. يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ الإسراء: ١٠٦، ويقول عز من قائل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، الفرقان: ٣٢، وقال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود: ١٢٠.

وهناك أحاديث صحيحة تؤيد حقيقة نزول القرآن الكريم منجماً وعلى مراحل، وهو ما يعرف في علم التفسير بالمرحلة المكية والمرحلة المدينة أو القرآن المكي والقرآن المدني، ولكل من المرحلتين خصائصها وطبيعتها وموضوعاتها الخاصة بها. فمن هذه الأحاديث ما رواه الإمام البخاري في صحيحة من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

" إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل : لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبدا ، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر:46]. وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده " [1].

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل: **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه**، تحقيق: محب الدين الخطيب، الناشر :المكتبة السلفية ، القاهرة، ط1،1400 هـ، كتاب بدء الوحي، باب تأليف القرآن، ج6، ص 228، رقم الحديث: 4993

كما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " إن أول ما نزل صدر سورة اقرأ "، وفي الصحيحين أيضاً من حديث جابر رضي الله عنه أنه قال: " إن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر " [2].

إن في هذا التنجيم للقرآن العظيم لَحِكماً باهرة وعبراً جليلة، ولا أبالغ إن قلت إن الجامعات والمؤسسات التعليمية العالمية الحديثة والعريقة قد اقتبست استراتيجيات التعلم والتعليم والتربية من تاريخ نزول القرآن الكريم منجماً. ولقد درس علماء التربية والمناهج ظاهرة التدرج في نزول الآيات القرآنية ومضامين التشريعات الربانية المقدسة وحللوا مدى إمكانية الإفادة منها وتوظيفها في الدروس والمقررات المدرسية والجامعية. ما من شك أن المنهج القرآني في التربية والتعليم والتأسيس الفكري والعقدي؛ لمنهج رباني عظيم وفريد من نوعه وجدير بالاتباع في التربية والتعليم والتثقيف. ولقد كان بإمكان الله عز وجل أن يُنـزِّل القرآنَ الكريم على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جملة واحدة وفي لحظة واحدة وتنتهي المسألة! ولكنه سبحانه أبى أن يشرع هذه المنهجية للناس مع نزول آخر كتاب سماوي سيكون له شأن كبير في الأرض وفي السماء إلى قيام الساعة. لقد أراد الله عز وجل أن يستغرق نزول القرآن فترة زمنية طويلة، ذلك؛ حتى يتعلم الناس جميعاً والمسلمون خاصة الطريقة القرآنية المثلى في التربية والتعليم الناجح والموفق. إن العملية التربوية والتعليمية تعتمد على أمرين أساسين: مراعاة المستوى الذهني للمتلقي وتنمية قدراته العقلية والنفسية والجسمية. وفي تاريخ نزول القرآن منجماً نلاحظ هذه الحقيقة وهذين الأمرين بوضوح وجلاء، حيث سلك القرآن الكريم في تربية الأمة الناشئة — في كلتا المرحلتين؛ المرحلة المكية والمرحلة المدنية – منهج التدرج والمرحلية لإصلاح النفس البشرية عقدياً وفكرياً وأخلاقياً، حتى استوى بهذا المنهج بناء الأمة الإسلامية وآتت أكلها بإذن ربها. تشير الدراسات الأكاديمية إلى أن المنهج الدراسي الذي لا يراعى فيه المستوى الذهني والاستعداد الفكري في كل مرحلة من مراحل التعليم من حيث الانتقال بالمتلقي من الإجمال إلى التفصيل، أو لا يراعى تنمية الجوانب العقلية والنفسية والجسمية للمتلقي؛ منهج غير ناجح لا يرقى بالأمة والشباب إلى مستقبل زاهر ومشرق. إن نظرة فاحصة لحال المناهج والمقررات الدراسية المتعلقة بعلوم أصول الدين والشريعة الإسلامية في الجامعات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي، وحال الطلاب والطالبات في تلك المؤسسات التعليمية؛ لتؤكد لنا وجود بعض الخلل منهجياً وأكاديمياً من حيث عدم وجود الروابط العضوية وعدم الروابط الفكرية والتسلسل المنهجي والتكامل المعرفي المنشود. كما أن عدم الوحدة الموضوعية لتلك المقررات والمناهج في مختلف مستوياتها أمر ظاهر وبيّن. وقد تزامنت هذه الأزمة الأكاديمية — مع الأسف – مع وجود فئة أو ثلة من

[2] **صحيح الإمام البخاري** بشرح الحافظ ابن حجر العسقلاني، باب: كتاب بدء الوحي، ج 1، ص 3، و **صحيح الإمام مسلم** بشرح النووي، باب كتاب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج1، ص 97

المدرسين والمربين الذين لم يتقنوا المهارات الأساسية في التربية والتعليم والتثقيف في كافة المراحل الدراسية. فمنهم من يكلف التلاميذ والطلاب والطالبات فوق طاقتهم الفكرية وقدراتهم البشرية دون مراعاة لتفاوتهم الفطري في الفهم والاستيعاب والحفظ، ودون مراعاة لانتمائهم الاجتماعي والثقافي، معرضاً أو متناسيا مبدأ الالتزام بقاعدة التدرج والمرحلية في التربية والتعليم! فكانت النتائج غير مرضية في المخرجات التعليمية. بل وأثبتت التجربة والمشاهدة أن هؤلاء الطلاب الخريجون عندما سألناهم عما إذا كانوا قد استفادوا من تلك المقررات الدراسية والطرق التدريسية أيام دراستهم في المراحل الدراسية المختلفة وأنه هل عاد بإمكانهم توظيف تلك العلوم والمعارف الشرعية في حياتهم الخاصة والعامة، قالوا إننا عاجزون عن ذلك ولم نستفد حق الاستفادة.

لنضرب على ذلك مثلاً: فالطلاب في مادة التفسير أو العقيدة أو الدعوة في السنة الأولى في الكلية يدرسون كتباً مختارة لمؤلفين معينين وموضوعات خاصة بالمقرر تعتبر مداخل إلى قلب الموضوعات الهامة، وعندما ينتقلون إلى الفصول الدراسية اللاحقة، فبدلا من الاستمرار مع نفس الكتب المقررة ولكن بشيء من التوسع والتفصيل عما درسوه في السنة الأولى، تفرض عليهم كتب أخرى من مؤلفين آخرين وموضوعات جديدة غير تلك التي بدأوا فيها في الفصول الأولى. فهنا يتعرض الطلاب إلى عدة مصادر للتلقي وعدة شخصيات علمية مختلفة كل له منهجه وطريقته الخاصة في الطرح والشرح ومعالجة الموضوع، والمبتدئ الحديث في العلوم الشرعية إذا تعرض إلى أكثر من مصدر للتلقي فإنه يخشى عليه التشتت والانشطار الفكري والذهني وعدم النضج المعرفي، والله أعلم. وما قيل في حق السنة الأولى والثانية يقال في حق السنة الثالثة والرابعة، وهلم جراً في الدراسات العليا. إن تربية الطالب وتنشئته فكرياً وعلمياً بهذه الطريقة لن تؤتي أكُلها على الوجه الأكمل والأسلم. إن تشتت الطالب فكرياً ومنهجياً بسبب هذا الخلل التربوي وعدم إصلاح وبناء فكره في إطار معرفي ومنهجي موحد ومتكامل متسلسل علمياً موضوعياً، أقول إن هذه الحال حتماً ستؤدي بأبنائنا الطلاب وبناتنا وأخواتنا الطالبات إلى التخلف الفكري والتراجع الحضاري، وإلى عدم إتقان وفهم الإسلام والعلوم الشرعية فهماً سليماً وفق الكتاب والسنة وهدي علمائنا الربانيين من السلف الصالح. لقد تبن في المقابلات الشخصية الكثيرة أن معظم الطلاب الخرِّيجين من الكليات الإسلامية المختلفة في الوطن العربي والإسلامي والحاصلين على الشهادات الجامعية لديهم معارف عامة عن الإسلام والشريعة الإسلامية ولكنها للأسف غير دقيقة وغير محققة، بدليل أنه عندما طلب منهم تدريس تلك الكتب والمراجع المقررة في المساجد أو المدارس قالوا إننا لم نستوعب موضوعات الكتاب جيداً ولم نفهمه حق الفهم بسبب عجلة الأستاذ في الشرح والبيان وإنهاء المقرر قبل موعده، أو ربما عدم إنجاز المقرر أصلا! ودون مراعاة المعلم لحالنا وقدرتنا الفكرية والعلمية، فكان عاقبة الأستاذ والتلاميذ خسراً وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً! إن

المؤسسات التعليمية التي لا تراعي مبدأ التدرج والمرحلية في التربية لن تنتج ولن تخرج أجيالا قادرين أكفاء للمستقبل. إن المقررات والمناهج الدراسية الشرعية التي لا تراعي التدرج في الموضوعات والمقررات من حيث الرقي بالتلاميذ والطلاب من الأدنى إلى الأعلى ومن الأيسر إلى الأشق؛ مؤسسات تحتاج إلى إعادة النظر في مناهجها ومقرراتها ومسيرتها التعليمية والتربوية. والخير كل الخير في اتباع الهدي الإلهي في نزول القرآن الكريم منجماً ومفرقاً وفي اتباع الهدي النبوي في الوعظ والإرشاد، والاستفادة من الطرق والأساليب القرآنية المثلى في التدرج والمرحلية في قاعات المحاضرات والفصول مع الطلاب. إن معالجة هذه المسألة وتأصيلها تأصيلاً علمياً وأكاديمياً لن يكون إلا بالرجوع إلى طريقة الآيات القرآنية في النزول بالتدرج- مراعية التسلسل الفكري والموضوعي والروحي للجماعة الأولى الحديثة – والإفادة من هذه المنهجية الربانية، حتى يكون القرآن الكريم نبراساً وأسوة لنا في الاقتداء بالمنهج الإلهي الفريد في كافة شؤوننا الدينية والدنيوية والعلمية والتربوية، كما أن مثل هذه القضايا التعليمية والتربوية الكبرى تحتاج إلى لجان علمية وأكاديمية وخبراء تربويين لمناقشتها وفصل القول فيها. كان هدفنا من تناولنا لهذه الظاهرة القرآنية الإشارة إلى أهمية المراجعة المستمرة للمناهج والمقررات والبرامج الأكاديمية والدينية وتحديثها وفق أسس الكتاب والسنة وهدي سلفنا الصالح، ولعل ما نشاهده في كليتنا المباركة في هذه الأيام من حيوية فكرية وعلمية وإعادة النظر والمراجعة الجذرية لكافة التخصصات والمقررات خير شاهد وأكبر دليل على احترام هذه الظاهرة القرآنية والإفادة منها، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تطوير وتفعيل علوم القرآن في حياتنا الأكاديمية والتربوية والاجتماعية
(ظاهرة نزول القرآن الكريم منجماً – دراسة حالة)

بقلم

الدكتور خير الدين خوجة

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية المشارك

&

مستشار أكاديمي بمركز تدريب قوات الدفاع الجوي الأميري القطري – وزارة الدفاع بدولة قطر

الدوحة – قطر

2020

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله شافع المذنبين، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار ومن سار على هديه ما دام الليل والنهار، أما بعد؛

فإن القرآن الكريم هو أشرف ما ينبغي أن تصرف لأجله الأوقات وأن تفنى في دراسته الأعمار. لقد أكرم الله عز وجل الأمة الإسلامية إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس حينما كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، كما أن الله عز وجل جعل القرآن الكريم هادياً ومرشداً للتي هي أقوم فقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وجعله نوراً يهتدي به الناس للخروج من ظلماتهم الفكرية والعقدية والسلوكية إلى نوره، وجعله برهاناً للعالمين أجمع حيث عجز المتقدمون والمتأخرون أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو آيات مثله، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[النساء: ١٧٤]، ووعد الله المؤمنين به والعاملين بكتابه بالنصر والتأييد والقوة والتمكين في الأرض شريطة طاعته سبحانه، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتنفيذ أوامره سبحانه واجتناب نواهيه، وإقامة حدوده وتحليل حلاله وتحريم حرامه، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[محمد: ٧]، وقال عز وجل: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]. ولقد كان المقصد الأسمى والأول من نزول القرآن الكريم هو هداية الناس إلى الإسلام وإرشادهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فقال تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٢]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]. غير أن هذا المقصد الأسنى والهدف الأسمى لا يتنافى مع ما في القرآن العظيم من دلالات

وبشارات ومفاتيح لبعض العلوم الإنسانية والاجتماعية. فقد ورد في ثنايا آيات القرآن الكريم الحديث عن علم الفلك وعلم الكيمياء والفيزياء والرياضيات والهندسة وعلم طبقات الأرض وعلم البحار وعلم الأجنة وعلم الطب وعلم الاقتصاد إلى غير ذلك من العلوم والفنون، الأمر الذي دفع بعض العلماء الأجلاء إلى القول إن القرآن الكريم لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من العلوم، واحتوى علوم الأولين والآخرين.

ومن جملة مظاهر حفظ الله لهذا القرآن الكريم منذ نزوله إلى يومنا هذا؛ أنه قد حظي بالرعاية والاهتمام حفظاً في الصدور، وجمعاً في السطور، وتلاوة على الألسنة، وتفسيراً في الكتب، وتحفيظاً في الكتاتيب والمدارس والجامعات، وتدويناً لكل العلوم والفنون المتعلقة به أمثال؛ علم المكي والمدني، العام والخاص، المطلق والمقيد، وعلم القراءات والأحرف السبعة، والأقسام والأمثال، والقصص القرآني والبلاغة والإعجاز وعلم تنجيم القرآن والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، وغير ذلك من المباحث والموضوعات المتعلقة بالقرآن الكريم والخادمة لفهمه ولتيسير العمل به. فسبحان من زرع في قلوب عباده المخلصين حب الخدمة لكتابه الكريم، وما ذلك إلا لكون هذا الكتاب الخاتم معجزة ربانية خالدة للأجيال القادمة في كل عصر ومصر، ولكون هذا الكتاب كتاب الزمن كله وكتاب الإنسانية كلها إلى قيام الساعة.

لقد أجمع العلماء قديماً وحديثاً على أن أشرف العلوم على الإطلاق هي تلك العلوم التي تتعلق بكتاب الله عز وجل وتخدمه كما أسلفنا آنفاً. كما أجمعوا على كون القرآن الكريم – شكلاً – من حيث طريقة رسمه وعدُّ آياته وعدد سوره وكلماته وجمله وحروفه، و – مضموناً — من حيث التشريعات والأحكام والمبادئ العقدية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية الواردة فيه، معجزة إلهية لكل العصور والأمصار عجزت البشرية جمعاء عن مضاهاتها أو الإتيان بمثلها. وبناء على هذه الحقيقة، فإنني أود التأكيد هنا على قضية مهمة جدًا، ألا وهي أن كل علم فرعي في مقرر علوم القرآن يتعلق بخدمة كتاب الله عز وجل؛ هو علم فيه إعجاز في جانب معين لكونه متعلقاً بالكتاب المعجز، وتتضح لنا صور إعجاز هذا العلم وحقيقته عندما نقوم بتفكيك هذه العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم — وما أكثرها في مادة علوم القرآن — إلى جزئيات فرعية قابلة للتطبيق والتنفيذ والعمل به. وبعبارة أخرى فإنني أدعو من خلال هذه الدراسة إلى منهجية جديدة للتعامل مع علوم القرآن، وذلك من خلال التوظيف الإيجابي الفعال لتلك العلوم في حياتنا العامة والخاصة، على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، سواء ما تعلق منها بالجانب العقدي أو الجوانب التربوية أو الدعوية أو الأكاديمية أو الأخلاقية. ولعل هذه البادرة الشخصية والأولى — حسب مبلغ علمي – يكتب لها القبول عند الله وعند الناس، ثم يكتب لها التطوير فيما بعد في الدراسات اللاحقة عن القرآن الكريم من قبل الباحثين والدارسين، والله أعلم.

مدخل

(منطلقات هذه النظرة التطويرية والتوظيفية مع ذكر أمثلة على ذلك).

1- علم القراءات والأحرف السبعة

من خلال تجربتي في تدريس مقرر علوم القرآن بمختلف المستويات في عدة جامعات عالمية مرموقة تولدت لدي جملة من التساؤلات حول العديد من موضوعات علوم القرآن الكريم. فمثلا في مبحث القراءات القرآنية والأحرف السبعة؛ وعند ذكر واستعراض كلام أهل العلم حول المعنى المراد والحكمة من الأحرف السبعة؛ ورد أن من معانيها هو: **التيسير والتخفيف على الشيخ الكبير والصغير والمتعلم والأمي وعامة المسلمين في القبائل العربية المختلفة**...إلخ. خلصتُ إلى النتيجة بأن الحكمة الإلهية اقتضت من خلال مسألة ظاهرة الأحرف السبعة وتنوع القراءات القرآنية أن نفهم نحن المسلمين أن التيسير والتخفيف على المسلمين في إطار التشريع الإسلامي المباح هو أمر مرغوب فيه ومندوب إليه، بل هو مقصد إسلامي سام؛ وربما يكون فريضة علينا في ظل هذه الظروف الاجتماعية والإنسانية والدينية والسياسية الراهنة التي نعايشها.

إذن، بهذا التحليل ذي الأبعاد الفكرية والسلوكية والاجتماعية والمنهجية، وبهذا التوظيف الإيجابي لعلم من علوم القرآن نكون قد استفدنا وأفدنا مرتين؛ مرة في معرفة كل ما يتعلق بجهود العلماء في حفظ النص القرآني رسما وتلاوة وتفسيرًا، وهذا هو الجانب النظري المهم، وثانية نكون قد استفدنا من هذا العلم روحَ الإسلام ومقصدَه النبيل والسامي؛ ألا وهو **التيسير والتخفيف على الناس**، لأن فن التعسير والتعقيد يجيده كثير من الناس، بينما فن التيسير والتخفيف وتحبيب الناس إلى الإسلام فقليل من الناس من يجيده. هذا هو الإعجاز الخفي لكل علم يتعلق بخدمة القرآن الكريم. فالرسالة التي نستخلصها من هذه النظرة التوظيفية الجديدة في كيفية التعامل مع علوم القرآن عامة هي: **العودة إلى/ أو تبني منهج التخفيف والتيسير** وتحبيب الناس إلى الله وإلى الإسلام من جديد. فهذه ومضات عاجلة ليس مجالها التوسع والاستطراد وإنما كان القصد منها توضيح الفكرة من خلال ضرب المثل لعلم من علوم القرآن الكريم.[3]

[3] انظر للمزيد: **كيف نفهم التيسير – وقفات مع كتاب: إفعل ولا حرج**، تقديم معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعد، تأليف: فهد بن سعد أبا حسين، توزيع دار المحدث، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1. (1428 هـ)

2- علم جمع القرآن الكريم وتدوينه

وما قيل عن مبحث وعلم القراءات والأحرف السبعة؛ يقال عن علم ومبحث جمع القرآن الكريم وتدوينه وحفظه. ترى ما الرسالة الخفية في هذا العلم المهم المتعلق بالقرآن الكريم؟ عرفنا تاريخ جمع القرآن، وعرفنا عدد مرات جمع القرآن، وعرفنا اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بجمع القرآن، وعرفنا القراء الشهداء في معركة اليمامة...الخ. فهذا كله متعلق بالناحية النظرية العلمية التاريخية البحتة والمتعلقة بتاريخ جمع القرآن الكريم، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: تُرى لِـمَ هذا كله؟ الجواب في هذه المبادرة الجديدة لتفعيل هذا العلم الجديد قائلا: إن على المسلمين التثبت والتأكد من الأخبار والشائعات وعدم تلقي كل ما يقال أو يكتب...كما أن على المسلمين أيضا التحلي بالأمانة **والمحافظة عليها وعدم تغيير أو تبديل أو تزوير في شيء من هذه الأمانات التي أؤتمنوا عليها**. لِـمَ هذا كله؟ من أين لنا هذا الدرس؟ الجواب هو: في تاريخ حفظ الصحابة والمسلمين لجمع القرآن الكريم ونقله إلينا يالتواتر وعدم نسخ أو حذف شيء منه أثناء جمعه أو حفظه إلا بإذن من الوحي الإلهي. ومن خلال النظرة التجديدية يمكننا القول: **إن أي فساد إداري أو قانوني أو علمي أو معرفي أو ثقافي يعتبر خيانة عظمى في حق الله وفي حق المسلمين عامة**، وعادة هذا الفساد يكون من شأن غير المسلمين الذين لا يتبعون شرع الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]، فجواب المسلمين والإداريين والقانونيين والمسؤولين إذا ما طُلب منهم أي تغيير أو تزوير أو خيانة أو تحريف يكون وفقا للنص القرآني السابق : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾، **لا تغيير ولا تبديل إلا بأمر من الله العلي الكبير أو الخليفة أو الأمير أو الكبير**...إذن من خلال هذه النظرة التجديدية نقول للفساد أيا كان نوعه: **كلا** وألف **كلا**.

علم المحكم والمتشابه.

وكما لا يخفى على أولي الألباب والمشتغلين بعلوم القرآن ومباحثه وموضوعاته، فإن موضوع المحكم والمتشابه يعد أحد أهم موضوعاته. وقد اختلف علماء علوم القرآن في تحديد المراد من المحكم والمتشابه وذهبوا مذاهب شتى. فمن قائل إن المحكم هو الواضح الذي لا لبس فيه ولا خلط في فهم المراد، وهذا هو الغالب في القرآن الكريم فأكثر آياته من هذا القبيل، أي لا لبس ولا خلط في فهم المراد من الآيات. فالآيات المحكمات هي الآيات الواضحات البينات هن أم الكتاب وأصل الكتاب وأساس الكتاب التي لا تحتمل أكثر من معنى ولا

تفسح مجالا لأي اجتهاد أو معنى إضافي خارج الآية ذاتها، هي آيات قطعيات الثبوت وقطعيات الدلالة، ومما ذكروا أمثلة من الآيات القرآنية مثل: [**قل هو الله أحد**]، ومثل قوله تعالى: [**فاجلدوهم ثمانين جلدة**]، فعدد (ثمانين) من الألفاظ المحكمة الواضحة البينة لا تخفى على أحد، ولا يفهم من (ثمانين) (سبعين أو ستين)، وقوله تعالى: [**فثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم**]، فرقم (ثلاثة)، ورقم (سبعة)، واضح الدلالة، فهي ليست إثنين أو أربعة أو ثمانية أو ستة.

وأما المتشابه من الآيات فهو الذي يشتبه أمره وفهم مراده على بعض الناس ولا يشتبه على البعض الآخر، أو هو ما علم معناه العلماء وجهل معناه العوام، أو أن المتشابه ما له أكثر من معنى، وأما الألفاظ المتشابهة التي لها أكثر من معنى فأهل الزيغ والمشاكل والذين تلوثوا بالفكر المسموم يتبعون هذه المنهج ابتغاء الفتنة والتحريف والتضليل، وربما على أقل التقدير يبحثون عن معنى جديد ملائم إن كان هذا المعنى له علاقة بمعنى الآية (ابتغاء تأويله). فالواجب على الباحث والمسلم والطالب عند إلتباس المعنى والتردد في معرفة معنى المتشابه؛ فالواجب عليه رد ذلك المتشابه أو المشكِل إلى المعنى المحكم الواضح الذي لا لبس فيه للبتِّ في المسألة والخروج من الخلاف. فالمعنى لمحكم هو بمثابة القاضي والحكَم العدل للفصل بين معاني الآيات التي تتخاصم فيما بينها أيهما أصدق قيلاً وأصدق حديثا، فشهادة المركز القرآني أو معيار المركز القرآني (أي الآيات المحكمات الواضحة الدلالة) هي العمدة في هذا الباب.[4]

وأما عن كيفية تطوير وتوظيف هذا العلم والإستفادة منه في حياتنا وأفكارنا وتعاملنا مع النصوص الشرعية ومع الناس فهو أننا نعلم جميعاً أن هنالك نصوصاً شرعية ثابتة وواضحة لا تحتمل تفسيرات ثنائية أو جانبية فهي من قبيل المحكمات البينات الوضحات، **هن أم الكتاب وأصل الكتاب وأساسه**. فمثلا من يناقش عن موضوع وحدانية الله أو توحيد الله، أو صدق وصحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو رسالته، أو أمرَ فرضية الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحجاب أو الربا...الخ، فنقول إن المسائل المذكورة آنفا هي من قبيل المحكمات والأصول الثابتة في الشريعة الإسلامية فلا يجوز النقاش حولها لأنها من قبيل الآيات المحكمات والأمهات والقواعد الراسخة التي لا يجوز العبث بها أو البحث عن معنى آخر لا يحتمله اللفظ.

وأما إن كانت المسائل التي يراد النقاش حولها من قبيل الأمور والقضايا الفرعية أو الجانبية (أي من الأمور المتشابهة التي لها أكثر من معنى وتحتمل أراء واجتهادات أخر) فيمكن النقاش حولها للبحث عن المعنى الأصوب أو الأحكم، مثل كيفية تحديد شكل وطريقة تطبيق مبدأ الشورى أو طريقة انتخاب الرئيس أو الخليفة أو الأمير، أو تحديد مواصفات الحجاب الشرعي أو لونه أو تصميمه وغير ذلك؛ فهذه الأمور

[4] انظر : السيوطي، جلال الدين؛ **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 592

خاضعة للعرف ويمكن النقاش حولها والبحث عن المعاني المتشابهة أو البديلة أو المحتملة شريطة أن لا تخالف أصلا من أصول الشريعة. **فها هنا تظهر فائدة توظيف المحكم والمتشابه في كيفية التعامل مع الأحكام الشرعية.** فمبدأ الشورى ثابتة لا نقاش في مشروعيتها، فهي من قبيل الآيات المحكمات، ولكن كيفية تطبيق وتنفيذ هذا المبدأ أو هذه الفريضة؛ فهو أمر من قبيل المتشابهات، تحتمل أكثر من وجه. وأيضاً مسألة الحجاب؛ لا نقاش في مشروعيته وفرضيته، ولكن طريقة تصميمه وتفصيله أمر من قبيل المتشابهات التي يمكن أن يقبل فيه أكثر من وجه.

وأما عن جانب آخر في كيفية توظيف وتطوير علم المحكم والمتشابه في العلاقات الشخصية والحكم على الأشخاص. فعندنا مثلا شخص مسلم معروف ومشهور بفكره وعقيدته ومنهجه والتزامه وموضوعيته وإنصافه وعدله. فهذه الأوصاف والمناقب من قبيل المحكمات والأصول والأسس القوية والواضحة والصفات المعروفة عن هذا المفكر أو الدكتور. لنضرب مثلا بمنهج الإمام القرطبي في تفسيره. معلوم عنه أنه يركز في تفسيره على الأحكام الشرعية المستنبطة من الآيات القرآنية، فهذا الأمر معلوم عنه بالتواتر ...هذه محكمات وأصول وحقائق تتعلق بمنهج وفكر الإمام القرطبي. وإذا بلغنا عن الإمام القرطبي أنه انحرف عن منهجه أو فكره أو عقيدته؛ فهذا يعتبر من قبيل المعاني أو الأخبار المتشابهة التي لا يمكن قبولها بإطلاق وبسهولة دون فحصها أو نقدها أو رد هذا الخبر المتشابه إلى الأخبار المحكمة الواضحة المعروفة عنه ومقارنتها بما هو معروف عنه، ولا نشيع هذا الخبر عنه مباشرة، لأننا برجوعنا إلى المحكم الثابت نكون قد قمنا بإزالة الشكوك والشبهات. فكل منا له محكمات فكرية وسلوكية ومنهجية يعرف بها، وإن شاع عنا شيء مخالف عما نحن عليه فنرد هذه الشائعات إلى المحكمات من الأصول والصفات لمعرفة وجه الصواب. **فهنا تظهر فائدة هذا العلم وأهمية توظيفه في حياتنا.**

3- علم نزول القرآن الكريم منجماً:

لقد شاء البارئ عز وجل أن يكون نزول القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منجماً حسب الوقائع والأحداث. يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ويقول عز من قائل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ

لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، [الفرقان: ٣٢] ، وقال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠].

وما قيل عن بعض علوم القرآن السابقة وكيفية تطويرها في حياتنا الفكرية والاجتماعية والدينية والقانونية..إلخ، يمكن أن يقال هنا أيضاً عن تطوير هذا العلم في حياتنا الأكاديمية والاجتاعية والروحية والتربوية، وذلك من الوقوف على الدروس والعبر والمقاصد الشرعية من وراء هذا النزول الإلهي المنجم (المفرق للقرآن الكريم) في كلتا المرحلتين، المكية والمدنية.

إن في هذا التنجيم للقرآن العظيم لَحِكماً باهرة وعبراً جليلة، ولا أبالغ إن قلت إن الجامعات والمؤسسات التعليمية العالمية الحديثة والعريقة قد اقتبست استراتيجيات التعلم والتعليم والتربية من تاريخ نزول القرآن الكريم منجماً. ولقد درس علماء التربية والمناهج ظاهرة التدرج في نزول الآيات القرآنية ومضامين التشريعات الربانية المقدسة وحللوا مدى إمكانية الإفادة منها وتوظيفها في الدروس والمقررات المدرسية والجامعية. ما من شك أن المنهج القرآني في التربية والتعليم والتأسيس الفكري والعقدي؛ لهو منهج رباني عظيم وفريد من نوعه وجدير بالاتباع في التربية والتعليم والتثقيف. ولقد كان بإمكان الله عز وجل أن يُنزِّل القرآنَ الكريم على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جملة واحدة وفي لحظة واحدة وتنتهي المسألة! ولكنه سبحانه أبى أن يشرع هذه المنهجية للناس مع نزول آخر كتاب سماوي سيكون له شأن كبير في الأرض وفي السماء إلى قيام الساعة. لقد أراد الله عز وجل أن يستغرق نزول القرآن فترة زمنية طويلة، ذلك؛ حتى يتعلم الناس جميعاً والمسلمون خاصة الطريقة القرآنية المثلى في التربية والتعليم الناجح والموفق. إن العملية التربوية والتعليمية تعتمد على أمرين أساسين: مراعاة المستوى الذهني للمتلقي وتنمية قدراته العقلية والنفسية والجسمية. وفي تاريخ نزول القرآن منجماً نلاحظ هذه الحقيقة وهذين الأمرين بوضوح وجلاء، حيث سلك القرآن الكريم في تربية الأمة الناشئة – في كلتا المرحلتين؛ المرحلة المكية والمرحلة المدنية – منهج التدرج والمرحلية لإصلاح النفس البشرية عقدياً وفكرياً وأخلاقياً، حتى استوى بهذا المنهج بناء الأمة الإسلامية وآتت أكلها بإذن ربها. تشير الدراسات الأكاديمية إلى أن المنهج الدراسي الذي لا يراعى فيه المستوى الذهني والاستعداد الفكري في كل مرحلة من مراحل التعليم من حيث الانتقال بالمتلقي من الأخف ألى الأثقل، ومن الأقل إلى الأكثر من الإجمال إلى التفصيل، أو لا يراعى تنمية الجوانب العقلية والنفسية والجسمية للمتلقي؛ منهج غير ناجح لا يرقى بالأمة والشباب إلى مستقبل زاهر ومشرق.

إذن، فتوظيف علوم القرآن الكريم؛ **مثل علم القرآءات القرآنية ومسألة الأحرف السبعة، وعلم جمع القرآن الكريم ومراحل تدوينه، وعلم المكي والمدني، وعلم المحكم والمتشابه، وعلم تنجيم القرآن الكريم ونزوله مفرقاً** وغيره من علوم القرآن...إلخ، توظيفاً إيجابياً في الأمور المقاصدية والدعوية والاجتماعية

والإدارية والقانونية بات أمراً ضرورياً. فهذا هو الجديد في هذه المسألة، وهذه النظرة الجديدة في كيفية الاستفادة من كون القرآن الكريم معجزاً، وأيضاً من كون كل علم له علاقة مباشرة بالقرآن الكريم؛ فهو معجز وشريف، لأنه يتعلق بأشرف الأشياء على الإطلاق. وهذا هو المطلوب منا معشر أهل القرآن والتفسير.

إشكالية البحث

إن نظرة فاحصة لحال المناهج والمقررات الدراسية المتعلقة بعلوم أصول الدين والشريعة الإسلامية في الجامعات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي، وحال الطلاب والطالبات في تلك المؤسسات التعليمية؛ لتؤكد لنا وجود بعض الخلل منهجياً وأكاديمياً من حيث عدم وجود الروابط العضوية وعدم الروابط الفكرية والتسلسل المنهجي والتكامل المعرفي المنشود. كما أن عدم الوحدة الموضوعية لتلك المقررات والمناهج في مختلف مستوياتها أمر ظاهر وبيّن. وقد تزامنت هذه الأزمة الأكاديمية — مع الأسف – مع وجود فئة أو ثلة من المدرسين والمربين الذين لم يتقنوا المهارات الأساسية في التربية والتعليم والتثقيف في كافة المراحل الدراسية. فمنهم من يكلف التلاميذ والطلاب والطالبات فوق طاقتهم الفكرية وقدراتهم البشرية دون مراعاة لتفاوتهم الفطري في الفهم والاستيعاب والحفظ، ودون مراعاة لانتمائهم الاجتماعي والثقافي، معرضاً أو متناسيا مبدأ الالتزام بقاعدة التدرج والمرحلية في التربية والتعليم! فكانت النتائج غير مرضية في المخرجات التعليمية. بل وأثبتت التجربة والمشاهدة أن هؤلاء الطلاب الخريجون عندما سألناهم عما إذا كانوا قد استفادوا من تلك المقررات الدراسية والطرق التدريسية أيام دراستهم في المراحل الدراسية المختلفة وأنه هل عاد بإمكانهم توظيف تلك العلوم والمعارف الشرعية في حياتهم الخاصة والعامة، قالوا إننا عاجزون عن ذلك ولم نستفد حق الاستفادة.

لنضرب على ذلك مثلاً: فالطلاب في مادة التفسير أو العقيدة أو الدعوة في السنة الأولى في الكلية يدرسون كتباً مختارة لمؤلفين معينين وموضوعات خاصة بالمقرر تعتبر مداخل إلى قلب الموضوعات الهامة، وعندما ينتقلون إلى الفصول الدراسية اللاحقة، فبدلا من الاستمرار مع نفس الكتب المقررة ولكن بشيء من التوسع والتفصيل عما درسوه في السنة الأولى، تفرض عليهم كتباً أخرى من مؤلفين آخرين وموضوعات جديدة غير تلك التي بدأوا فيها في الفصول الأولى. فهنا يتعرض الطلاب إلى عدة مصادر للتلقي وعدة شخصيات علمية مختلفة كل له منهجه وطريقته الخاصة في الطرح والشرح ومعالجة الموضوع، والمبتدئ الحديث في العلوم الشرعية إذا تعرض إلى أكثر من مصدر للتلقي فإنه يخشى عليه التشتت والانشطار الفكري والذهني وعدم النضج المعرفي، والله أعلم. وما قيل في حق السنة الأولى والثانية يقال في حق السنة الثالثة والرابعة، وهلم جراً في الدراسات العليا. إن تربية الطالب وتنشئته فكرياً وعلمياً بهذه الطريقة لن تؤتي أكُلها

على الوجه الأكمل والأسلم. إن تشتت الطالب فكرياً ومنهجياً بسبب هذا الخلل التربوي وعدم إصلاح وبناء فكره في إطار معرفي ومنهجي موحد ومتكامل متسلسل علمياً موضوعياً، أقول إن هذه الحال حتماً ستؤدي بأبنائنا الطلاب وبناتنا وأخواتنا الطالبات إلى التخلف الفكري والتراجع الحضاري، وإلى عدم إتقان وفهم الإسلام والعلوم الشرعية فهماً سليماً وفق الكتاب والسنة وهدي علمائنا الربانيين من السلف الصالح. لقد تبن في المقابلات الشخصية الكثيرة أن معظم الطلاب الخريّجين من الكليات الإسلامية المختلفة في الوطن العربي والإسلامي والحاصلين على الشهادات الجامعية لديهم معارف عامة عن الإسلام والشريعة الإسلامية ولكنها غير للأسف غير دقيقة وغير محققة، بدليل أنه عندما طلب منهم تدريس تلك الكتب والمراجع المقررة في المساجد أو المدارس قالوا إننا لم نستوعب موضوعات الكتاب جيداً ولم نفهمه حق الفهم بسبب عجلة الأستاذ في الشرح والبيان وإنهاء المقرر قبل موعده، أو ربما عدم إنجاز المقرر أصلا! ودون مراعاة المعلم لحالنا وقدرتنا الفكرية والعلمية، فكان عاقبة الأستاذ والتلاميذ خسراً وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً! إن المؤسسات التعليمية التي لا تراعي مبدأ التدرج والمرحلية في التربية لن تنتج ولن تخرج أجيالا قادرين أكفاء للمستقبل. إن المقررات والمناهج الدراسية الشرعية التي لا تراعي التدرج في الموضوعات والمقررات من حيث الرقي بالتلاميذ والطلاب من الأدنى إلى الأعلى ومن الأيسر إلى الأشق؛ مؤسسات تحتاج إلى إعادة النظر في مناهجها ومقرراتها ومسيرتها التعليمية والتربوية. والخير كل الخير في اتباع الهدي الإلهي في نزول القرآن الكريم منجماً ومفرقاً وفي اتباع الهدي النبوي في الوعظ والإرشاد، والاستفادة من الطرق والأساليب القرآنية المثلى في التدرج والمرحلية في قاعات المحاضرات والفصول مع الطلاب. إن معالجة هذه المسألة وتأصيلها تأصيلاً علمياً وأكاديمياً لن يكون إلا بالرجوع إلى طريقة الآيات القرآنية في النزول بالتدرج والإفادة من هذه المنهجية الربانية، حتى يكون القرآن الكريم نبراساً وأسوة لنا في الاقتداء بالمنهج الإلهي الفريد في كافة شؤوننا الدينية والدنيوية والعلمية والتربوية، كما أن مثل هذه القضايا التعليمية والتربوية الكبرى تحتاج إلى لجان علمية وأكاديمية وخبراء تربويين لمناقشتها وفصل القول فيها. كان هدفنا من تناولنا لهذه الظاهرة القرآنية الإشارة إلى أهمية المراجعة المستمرة للمناهج والمقررات والبرامج الأكاديمية والدينية وتحديثها وفق أسس الكتاب والسنة وهدي سلفنا الصالح.

أهمية البحث

إذن؛ فنحن بحاجة إلى مراجعة هذه المسألة العلمية والتربوية وتأصيلها وفق منهج قرآني فريد. وما من شك أن المنهج القرآني في التربية والتعليم والتأسيس الفكري والعقدي؛ لمنهج رباني عظيم جدير بالاتباع. وقد كان بإمكان الله عز وجل أن يُنزِّل القرآنَ الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جملة واحدة في لحظة واحدة وتنتهي المسألة! ولكنه سبحانه أبى أن يشرع هذه المنهجية للناس مع نزول آخر كتاب سماوي سيكون

له شأن كبير في الأرض والسماء. لقد أراد الله عز وجل أن يستغرق نزول القرآن فترة زمنية طويلة، ذلك؛ حتى يتعلم الناس جميعاً والمسلمين خاصة الطريقة القرآنية المثلى في التربية والتعليم الناجح والموفق.

إن العملية التعليمية تعتمد على أمرين أساسين: مراعاة المستوى الذهني للطلاب، وتنمية قدراتهم العقلية والنفسية والجسمية. وفي تاريخ نزول القرآن منجماً نلاحظ هذه الحقيقة وهذين الأمرين بوضوح وجلاء، حيث سلك القرآن الكريم في تربية الأمة الناشئة منهج التدرج لإصلاح النفس البشرية عقدياً وفكرياً وأخلاقياً، وبذلك استوى بناء الأمة الإسلامية وآتت أكلها بإذن ربها. فتنجيم القرآن الكريم كان خير عون في حفظ القرآن وفهمه ومدارسته وتدبر معانيه والعمل بما فيه. وتشير الدراسات الأكاديمية أن المنهج الدراسي الذي لا يراعى فيه المستوى الذهني والاستعداد الفكري في كل مرحلة من مراحل التعليم والانتقال من الإجمال إلى التفصيل، أو لا يراعى تنمية الجوانب العقلية والنفسية والجسمية؛ منهج فاشل لا يرقى بالأمة والشباب إلى مستقبل زاهر ومشرق. والمدرس الذي يحمل الطلاب ما هو فوق طاقتهم العلمية حفظاً وفهماً، ولا يراعى حالهم بأناة وروية وتدرج وحكمة هو مدرس لا خبرة له يحتاج إلى إعادة تأهيله فكرياً وثقافياً وتربوياً في التعليم وفي طرق التدريس.

ما قيل في حال المدرس يقال في حال المقررات والمناهج التي لا تنتظم موضوعاتها وفصولها، وليس هناك تدرج بالمعلومات والموضوعات من السهل إلى الصعب، وليس هناك ترابط في فصوله وأبوابه ولا تنسيق فكري في موضوعاته...كل هذه السلبيات تنفر الطلاب من قراءة هذا الكتاب أو المقرر الدراسي ويصَعِّبُ على أستاذ المادة إنجازه. والخير كل الخير في اتباع الهدي الإلهي في نزول القرآن الكريم منجماً ومفرقاً في اتباع تلك الطرق والأساليب القرآنية المثلى في التدرج والمرحلية في قاعات المحاضرات والفصول مع الطلاب، وأيضاً في تأليف الكتب والمقررات الجامعية والمدرسية [5].

[5] انظر للمزيد: القطان، مناع؛ **مباحث في علوم القرآن**، ص 117- 118، وانظر: الكيلاني، ماجد عرسان؛ **التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند المسلم المعاصر**، مؤسسة الريان، ط1، 1997، لبنان، ص: 62- 103، يالجن، مقداد؛ **سبل النهوض بالطلاب خلقياً وعلمياً إلى مستوى أهداف الأمة**، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1999، ص: 65-66، 81، 85-90

هدف البحث

تهدف هذه الورقة العلمية إلى تسليط الضوء على هذه المسألة الأكاديمية ومعالجتها وتأصيلها تأصيلاً علمياً معتمداً على الآيات القرآنية في طريقة نزول القرآن الكريم بالتدرج ومنجماً، حتى تكون لنا نبراساً في الاقتداء بالمنهج القرآني الفريد في كافة شؤوننا الدينية والدنيوية والعلمية والتربوية، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أسئلة البحث

يهدف هذا البحث إلى إجابة التساؤلات الآتية:

- ما الصواب في مسألة تنجيم القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة؟
- إلى أي مدى راعت ظاهرة تنجيم القرآن الكريم أحوال العرب المشركين الفكرية والعقدية والنفسية والاجتماعية؟
- إلى أي مدى يمكن الإفادة من تنجيم القرآن الكريم تربويا وأكاديمياً في الوقت الراهن؟
- ما الدروس والمقاصد الدينية والاجتماعية المستفادة من ظاهرة تنجيم القرآن الكريم؟

منهجية البحث

إن طبيعة هذه الدراسة لا تنفك عن منهجها. فطبيعتها اقتضت أن يسلك الباحث فيها منهجا استقرائيا تحليليا نقديا، وذلك بالرجوع إلى المصادر والمراجع المتعلقة بالدراسات القرآنية، مثل أمهات كتب التفاسير القديمة والمعاصرة، وكتب علوم القرآن القديمة والمعاصرة، وأيضا بالرجوع إلى بعض المصادر التربوية.

الإضافة العلمية الجديدة:

إن الإضافة العلمية الجديدة من هذه الدراسة تكمن في إبراز الإعجاز القرآني في العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم والخادمة له، والدعوة إلى توظيف تلك العلوم المختلفة في حياتنا اليومية في مختلف المجالات. وقد علمت رحمك الله أن باب نزول القرآن الكريم يعد من أهم الأبواب والعلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، وبما أن القرآن الكريم معجز في آياته وسوره وعلومه إلى قيام الساعة، فلا بد من الاستفادة من هذه العلوم لمعالجة مشاكلنا التربوية والاجتماعية والعقدية.

المبحث الأول: التأصيل القرآني والنبوي لظاهرة التنجيم

المطلب الأول: التنجيم لغة واصطلاحا

ذكر أهل اللغة أن التنجيم لغة: من قولهم نجّم بتشديد الجيم، والنجم الوقت المضروب..، حيث كانت العرب تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول ديونها وغيرها [6]، ويقال نجمت المال، إذا أديته نجوماً، أي مفرقا ليس جملة واحدة [7].

وأما التنجيم في الاصطلاح: فالمراد منه عند المفسرين وعلماء علوم القرآن: إنزال آيات القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم منجماً، أي مفرقاً، ليس دفعة واحدة، في أوقات مختلفة حسب الوقائع والاستفسارات.

المطلب الثاني: تنجيم القرآن الكريم بين الحقيقة ودعاوي المشركين

ذكر أهل العلم بأن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بالتلاوة، المعجز بآية أو أقصر سورة منه، الواصل إلينا بالتواتر، الموجود بين دفتي المصحف. نزل على النبي صلى الله عليه في فترات متعددة خلال ثلاث وعشرين عاما في كلتا المرحلتين؛ المكية والمدنية. هو أصدق كتاب على مر الدهور، و أصح وثيقة إلهية على مر العصور، وذلك بشهادة العرب والعجم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو محفوظ في الصدور والسطور. قال تعالى: ﴿ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿ ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ﴾، [فصلت: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ﴾، [النساء: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ﴾، [النساء: ١٢٢]

لقد نقل إلينا القرآن الكريم أقوال المشركين المتناقضة، ومطاعنهم الحاقدة، ومطامعهم الباطلة حينما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وألحوا عليه أن ينزل عليه القرآن جملة واحدة كما كان شأن الكتب السابقة – كما زعموا – قال تعالى: ﴿ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی﴾،[الفرقان: ٣٢]. كما أنهم تحدوا الرسول صلى الله عليه وسلم في إنزال الآيات والمعجزات الحسية المختلفة كي يتأكدوا من صدق نبوته صلى الله عليه وسلم. وقد سجل القرآن الكريم هذه الدعاوي الباطلة تتلى إلى

---

[6] الإفريقي، محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، د.ت، ط1، ج12، ص 570، مادة: نجم.

[7] الجوهري، **الصحاح**، ج5، ص 2039، مادة: نجم.

قيام الساعة. فالله عز وجل لم يحقق مطالبهم رحمة بهم حتى لا يهلكهم إذا هم كفروا بعد ذلك، ولأنه تعالى علم منذ الأزل أنهم كاذبون وأنهم لن يؤمنوا. فلو أنه تعالى استجاب لطلبهم ثم كفروا بها؛ لحقَّ ولَصُبَّ عليهم العذاب صبّاً. قال تعالى:﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ﴾،[الإسراء: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﯓ ﯓ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ﴾، [الإسراء: 90 –93].

ولقد تأملت ملياً قوله تعالى:﴿ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﴾،[الفرقان:32]، وتساءلت كثيراً في كيفية إمكان وجود هذا الفرق الشاسع بين نزول القرآن الكريم منجماً وبالتدرج، وبين نزول الكتب السابقة جملة واحدة! مع أن المنزِّل واحد، وهو الله سبحانه وتعالى ؟! دفعني هذا التساؤل إلى البحث عن الجواب الشافي في كلام المفسرين القدامى والمعاصرين.

فإذا بمفسر عظيم يشفي غليلي ويروي ظمئي ويريح فكري، هو العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله حيث قال في تفسير قوله تعالى ما نصه:

" عود إلى معاذيرهم وتعليلاتهم الفاسدة إذ طعنوا في القرآن بأنه نزل منجماً وقالوا: لو كان من عند الله لنزل كتاباً جملة واحدة. وضمير ﴿ ﯓ ﴾ ظاهر في أنه عائد إلى المشركين، وهذه جهالة منهم بنسبة كتب الرسل، فإنها لم ينزل شيء منها جملة واحدة وإنما كانت وحياً مفرقاً. فالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام في الألواح هي عشر كلمات بمقدار سورة الليل في القرآن، وما كان الإنجيل إلا أقوالاً ينطق بها عيسى عليه السلام في الملأ، وكذلك الزبور نزل قطعاً كثيرة ومعنى كلمة الزبور تدل على معنى القطع والتجزيء. فالمشركون نسوا ذلك أو جهلوا فقالوا: هلا نزل القرآن على محمد جملة واحدة فنعلم أنه رسول الله. وقيل إن قائل هذا اليهود أو النصارى فإن صح ذلك فهو بهتان منهم لأنهم يعلمون أنه لم تنزل التوراة والإنجيل والزبور إلا مفرقة. فخوض المفسرين في بيان الفرق بين حالة رسولنا من الأمية وحالة الرسل الذين أنزلت عليهم الكتب اشتغال بما لا طائل فيه فإن تلك الكتب لم تنزل أسفاراً تامة قط" [8] .

إذن؛ يفهم من كلام المفسر الطاهر بن عاشور أن المشركين إما أنهم تجاهلوا هذه الحقيقة أو تناسوا حقيقة كيفية نزول الكتب السابقة. بل؛ أقول إن كلام المشركين الذي حكاه القرآن الكريم لنا مجرد تمنٍّ باطل واستهزاء محض، ليس أكثر، ولهم أمنيات مماثلة ومشابهة، ولا علاقة لها بالحقيقة التاريخية والمنطق والمنهج السليم في تربية الناس، إذ لا يعقل عدم مراعاة هذا الجانب – أي التدرج والانتقال من السهل إلى الصعب

[8] ابن عاشور، محمد الطاهر؛ **التحرير و التنوير**، ج 19، ص: 44

– لدى الأجيال السابقة والتركيز عليه للأجيال المتأخرة. الكتب السابقة لم تنزل جملة كما يتوهم من كلام المشركين، ولو حدث هذا لكان هذا تناقضاً في المنهج القرآني وهذا محال على الله، والله أعلم.
والآيات القرآنية الكثيرة تحدثنا بجلاء ووضوح أن القرآن الكريم نزل مفرقاً ومنجماً على الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي استقرائنا للآيات القرآنية حرصنا على ذكر وتصنيف كل تلك الآيات القرآنية حسب الموضوعات، والتي تشتمل على بعض الحكم والأسرار والتي تثبت وتدل على نزول القرآن منجماً، مثل آيات التحدي والسؤال والاستفسار وكيد المشركين ومكرهم، وافتراءاتهم وأكاذيبهم وتهمهم الباطلة في حق الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم. وفيما يلي من الآيات بيان هذه الحقيقة. قال تعالى:﴿ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ﴾ [الإسراء :106]، وقال أيضاً:﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﴾.[الفرقان :32]. وقال عز شأنه:﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﴾ [هود: 120]. وقال جل وعلا: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ﴾. [الفرقان: 33]. وقال أيضاً: ﭽ □ □ □ □ ﰇ ﰈ □ □﴾ [الإنسان: ٢٣]

في ضوء هذه الآيات القرآنية يمكننا الجزم بأن مسألة نزول القرآن الكريم منجماً قضية تاريخية حقيقية مسلّمة بها. لقد دلت الآيات القرآنية على ذلك دلالة واضحة. وكما هو معلوم بأن مثل هذه المسائل الدينية والتاريخية لا يكتفى فيها فقط بذكر بعض الآيات القرآنية، بل يجب مساندتها بالأحاديث النبوية أيضاً، لأن الحقائق القرآنية والمنهج القرآني لا يتعارض مع المنهج النبوي والحقائق النبوية، فإذا لوحظ التعارض بين ما هو قطعي الثبوت – وهو القرآن الكريم – وظني الثبوت – وهو الحديث النبوي الشريف –، فلا بد أن يكون أحدهما صحيحاً غير صريح، أو صريحاً غير صحيح، كما نص على ذلك أهل العلم.

المطلب الثاني: التأصيل النبوي لظاهرة التنجيم

وأما تأصيل هذه المسألة بالأحاديث النبوية، فنقول إن هنالك أحاديث صحيحة تؤيد حقيقة نزول القرآن الكريم منجماً وعلى مراحل، وهو ما عرف بالمرحلة المكية والمرحلة المدينة أو القرآن المكي والقرآن المدني، ولكل من المرحلتين خصائصها وطبيعتها الخاصة بها. فمن هذه الأحاديث ما رواه الإمام البخاري في صحيحة من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

" إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل : لا تزنوا

، لقالوا : لا ندع الزنا أبدا ، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب : ﴿ ئو ئې ئې ئې ئى ئى ﴾ [القمر:46]. وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده " [9].

ومنها حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

" قُلْتُ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا حَمَلَكُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى بَرَاءَةَ ، وَهِيَ مِنَ الْمِئِينِ وَإِلَى الأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي، فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ تَجْعَلُوا بَيْنَهُمَا سَطْرًا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ، مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "كَانَ مِمَّا يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ السُّوَرِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ الآيَاتُ، يَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الآيَاتِ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ السُّورَةُ، يَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، وَكَانَتِ الأَنْفَالُ، أَوَّلَ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بَرَاءَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ نُزُولا، وَكَانَتْ قِصَّتُهَا تُشْبِهُ قِصَّتَهَا، فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يُبَيِّنْ أَمْرَهَا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ أَجْعَلْ بَيْنَهُمَا سَطْرًا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ، فَفِي هَذَا مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهَا إِنَّمَا كُتِبَتْ فِي مَصَاحِفِ الصَّحَابَةِ مَعَ دَلالَةِ الْمُشَاهَدَةِ " ، وَقَدْ رُوِّينَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهَا إِنَّمَا كُتِبَتْ فِي فَوَاتِحِ السُّوَرِ لِنُزُولِهَا ، وَعِنْدَ نُزُولِهَا كَانَ يُعْلَمُ انْقِضَاءُ سُورَةٍ ، وَابْتِدَاءُ أُخْرَى [10].

كما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " إن أول ما نزل صدر سورة اقرأ "، وفي الصحيحين أيضاً من حديث جابر رضي الله عنه أنه قال: " إن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر" [11].

وذكر الإمام السيوطي عن عبد الرحمن السلمي أنه رحمه لله قال حدثنا الذين كانوا يقرؤون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة [12].

---

[9] البخاري، محمد بن إسماعيل: **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه**، تحقيق: محب الدين الخطيب، الناشر :المكتبة السلفية ، القاهرة، ط1،1400 هـ، كتاب بدء الوحي، باب تأليف القرآن، ج6، ص 228، رقم الحديث: 4993

[10] **سنن ابي داود**، بتحقيق وتعليق الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني، باب من جهر بها (البسملة)، ج1، ص 287

[11] **صحيح الإمام البخاري** بشرح الحافظ ابن حجر العسقلاني، باب: كتاب بدء الوحي، ج 1، ص 3، و **صحيح الإمام مسلم** بشرح النووي، باب كتاب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج1، ص 97

[12] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن؛ **الإتقان في علوم القرآن**، ج2، ص 468

روي البخاري ومسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار. حتي إذا أثاب الناس إلي الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر. لقالوا لا ندع الخمر أبدا. ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا. لقد نزل بمكة علي محمد صلي الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب "بل الساعة موعدهم والساعة أدهي وأمر" وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده.." الحديث .

وروي الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: "قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويلعبون الميسر. فسألوا رسول الله صلي الله عليه وسلم عنهما. فأنزل الله "يسألونك عن الخمر والميسر" الآية .

فقال الناس ما حرم علينا إنما قال: "إثم كبير" وكانوا يشربون الخمر حتي كان يوم من الأيام صلي رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب فخلط في قراءته فأنزل الله آية أغلظ منها "يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكاري حتي تعلموا ما تقولون" ثم نزلت آية أغلظ من ذلك "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر" إلي قوله: "فهل أنتم منتهون" قالوا: "انتهينا ربنا" الحديث .

وبهذا تم تشريع تحريم الخمر. وقد تدرج المولي عز وجل بالأمة التي شبت علي شرب الخمر ليصل بها إلي تركها مطلقاً وما كنا لنحصل علي فائدة التدرج هذه لاقتلاع عادة من أقبح العادات وأخبثها إلا بالتنجيم.

المطلب الثالث: خلاصة القول في هذه المسألة

نخلص إلى القول؛ إن القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة —كما يتوهم من طلب المشركين – وإنما نزل مفرقاً وسلك في ذلك في مسلكاً تربوياً رائعاً وكان أسوة حسنة للأولين والآخرين في كيفية تأسيس المجتمعات وتربية الشعوب والطلاب في المدارس والجامعات تربية سليمة وصحيحة، فذلك من فضل الله علينا وعلى الناس أجمعين ولكن أكثر الناس لا يعلمون. وبما أن القرآن الكريم كان آخر الكتب السماوية نزولاً فكان لابد من مراعاة هذا المنهج التربوي العظيم انتقالا بهم من مرحلة لأخرى ومن فريضةٍ إلى أخرى، فسبحان الذي يعلم السر وأخفى وما يصلح حال الإنسان ويفسده، وهو القائل:﴿ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﴾، [الملك:14]. فإذا أدركنا هذه الحقيقة القرآنية يجدر بنا الآن الاطلاع على بعض الأسرار والحكم والدروس المستفادة من ظاهرة تنجيم القرآن الكريم ونزوله مفرقاً، عسى ولعل أن تكون خطوطاً عريضة وإرشادات ربانية قيمة للمربين والمدرسين والأكاديميين، والله الموفق.

المبحث الثاني: الحِكم والدروس الدينية والتربوية والاجتماعية في ظاهرة تنجيم القرآن

تمهيد

مما لا شك فيه أن نزول القرآن الكريم منجماً احتوى أسراراً ودروسًا وحكماً دينية واجتماعية وتربوية كثيرة، أشار إلى بعضها العلماء في كتب التفسير والمصنفات الأخرى القديمة منها والمعاصرة. وقبل ذكر الدروس والحكم المفصلة يجدر بنا ذكر كلام بعض العلماء من السلف والخلف في بيان أهمية وفلسفة نزول القرآن الكريم مفرقاً، فنشرع بذكر كلام الإمام السيوطي رحمه الله إذ يقول: " فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحونه فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم.." [13].

ويعقب الأستاذ سيد قطب رحمه الله في بيان الحكمة من نزول القرآن منجماً قائلاً: " لقد جاء هذا القرآن ليربي أمة وينشئ مجتمعاً ويقيم نظاماً، والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثير وانفعال بالكلمة وإلى حركة تترجم التأثير والانفعال إلى واقع، والنفس البشرية لا تتحول تحولاً كاملاً شاملاً بين يوم وليلة بقراءة كتاب كامل شامل للمنهاج الجديد، إنما تتأثر بعد يوم بطرف من هذا المنهاج وتتدرج في مراقيه رويداً رويداً وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً فلا تحفل كما تحفل لو قدم لها ضخماً ثقيلاً عسيراً وهي تنمو في كل يوم بالوجبة المغذية فتصبح بالتالي أكثر استعدادا للانتفاع بالوجبة التالية و أشد قابلية لها و التذاذا بها.." [14].

ويشير الإمام الطاهر بن عاشور محللا لكلام الإمام الزمخشري في بيان الحكمة من التنجيم: " وجاء في بيان حكمة إنزال القرآن منجماً بكلمة جامعة وهي﴿ ئى ئد ى ﴾ لأن تثبيت الفؤاد يقتضي كل ما به خير للنفس، فمنه ما قاله الزمخشري: الحكمة في تفريقه أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه، لأن المتلقن إنما يقوي قلبه على حفظ العلم يلقى إليه، إذ ألقي إليه شيئاً بعد شيء وجزءاً عقب جزء، وما قاله أيضاً " أنه كان ينزل على حسب الدواعي والحوادث وجوابات السائلين" اهـ، أي فيكونون أوعى لما ينزل فيه لأنهم بحاجة إلى علمه، فيكثر العمل بما فيه وذلك مما يثبت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ويشرح صدره...وقلت: إن نزوله منجماً أعون لحُفَّاظِه على فهمه وتدبره" [15].

---

[13] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن؛ **الإتقان في علوم القرآن**، ج2، ص:469

[14] قطب، سيد؛ **في ظلال القرآن**: ج 5 ، ص: 2562

[15] ابن عاشور، الطاهر محمد؛ **التحرير والتوير**، ج19، ص 44

وأود الإشارة هنا إلى مسألة مهمة جداً وهي أن المتأمل في استنباط الحكم والأسرار والدروس التي اشتملت عليها ظاهرة تنجيم القرآن الكريم مسألة اجتهادية بحتة يتوصل إلى معرفتها من خلال استقراء النصوص القرآنية وتدبر ما جاء في ثنايا الآيات المباركة إما دلالة أو إشارة أو اقتضاء، وما قد يفهم من السياق العام للآيات أو السباق أو اللحاق، إضافة إلى ما أشار إليها بعض أهل العلم في مصنفاتهم وفي بطون كتب التفاسير القديمة والمعاصرة منها. و بالنسبة للدروس والحكم المستفادة من ظاهرة التنجيم آثرت تقسيميها إلى ثلاثة أقسام؛

أولا: الحكم والعبر الدينية، **ثانيا**: الحكم والعبر التربوية (*وتدخل فيها الحكم العلمية والمعرفية*)، **وثالثاً**: الحكم الاجتماعية. ومن خلال مطالعتي وبحثي حول هذا الموضوع المهم وُفّقتُ بحمد الله وتوفيقه إلى رصد وتسجيل هذه الدروس والحِكَم:

المطلب الأول: الحِكَم الدينية

1. تفخيم شأن القرآن وشأن من نزل عليه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وشأن من سينزل إليهم وهي الأمة الإسلامية [16]. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ڻ ڻ ۀ ۀ ڤ ﴾، [المزمل:5]، وقال تعالى:﴿ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ﴾، [الأحزاب:72]. وقال تعالى:ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ[البقرة: 143]. وفي هذا النوع من التنزيل جمع الله للقرآن نزولين: النزول جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ، والنزول الثاني مفرقاً من سماء الدنيا على رسول الله صلى الله عليه سلم منجماً. فالقرآن الكريم شارك بذلك الكتب السماوية الأولى، وانفرد بالفضل عليها في الثانية، وهذا يعود بالتفضيل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام [17] و أمته على سائر الأمم. قال تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ[آل عمران: 11]
2. إن في تعدد النزول وأمكنته مبالغة في نفي الشك عن القرآن وزيادة للإيمان به وباعثاً على الثقة فيه، لأن الكلام إذا سجل في سجلات متعددة وصحت له وجودات كثيرة، كان ذلك أنفى للريب عنه وأدعى إلى تسليم ثبوته و أدنى إلى وفرة الإيمان به مما لو سجل في سجل واحد أو كان له وجود

---

[16] القطان، مناع؛ **مباحث في علوم القرآن**: ص 52 ، أبو شهبة، محمد؛ **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، ص 53، 69

[17] انظر: أبو شهبة، محمد؛ **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، ص 69

واحد[18]. فمن القرآن ما نزل ليلاً ونهاراً، وصيفاً وشتاء، في السلم والحرب [19]، ومكة والمدينة، وتبوك وحديبية وعرفات وبدر وأحد...الخ[20].

3. بيان تناقضات المشركين وتهمهم الباطلة [21] في حق الرسول صلى الله عليه وسلم وحق القرآن الكريم. لقد سجل لنا القرآن الكريم تلك الافتراءات إلى قيام الساعة، وأرى من الضروري ذكر هذه الآيات لكي نرى مواقفهم المذبذبة وكلامهم المتناقض وجنونهم المفرط، وما كان ينبغي لمثل هؤلاء العرب الأقحاح أن يلوثوا أنفسهم وتاريخهم بمثل هذه المواقف المشينة. فيما يلي آيات من كتاب الله تبين هذه الحقائق. قال تعالى:﴿ ٻ ٻ ٻ ٺ ٺ ٺ ﴾ [الطور: 33]، وقوله تعالى:﴿ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ﴾ [الأنبياء:5]، وقال أيضاً:﴿ ى ى ي ي □ □ □ □ ﴾[الطور:30]، وقوله تعالى:﴿ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ﴾ [الحاقة:41]، وقوله تعالى:﴿ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ې ې ٻ ٻ ٻ ٻ ﴾، [الأنعام:7]، وقوله تعالى:﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ﴾، [هود:7]، وقوله تعالى: ﴿ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ﴾ [الزخرف: 30]، وقوله تعالى:﴿ ٻ ٻ ٻ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ڈ ﴾،[الأحقاف: 7]، وقوله تعالى:﴿ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ﴾،[القمر: 2]، وقوله تعالى:﴿ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ﴾ [المدثر: 24]، وقوله تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ﴾،[الذاريات: 52]، وقوله تعالى: ﴿ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ﴾ [الطور: 29]، وقوله تعالى:﴿ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ﴾،[القمر: 9]، وقوله تعالى:﴿ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ﴾ [النحل: 24]، وقوله تعالى:﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڍ ﴾ [الفرقان: 5]، وقوله تعالى:﴿ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ﴾ [القلم: 15]، وقوله تعالى: ﴿ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ﴾ [المطففين: 12].

4. إثبات مصدر القرآن وأنه تنزيل من حكيم حميد [22]، لا بدليل أسلوبه ونظمه وعدم اختلاف مضمونه فقط، بل بدليل وقوع الأحداث والبشائر على النحو الذي تحدث عنه القرآن وأشار إليه طلبة عصر التنزيل. كما أخبرنا القرآن عن أبي لهب أنه سيصلى ناراً وأنه لن يؤمن وأنه سيبقى على

---

[18] الزرقاني، عبد العظيم: **مناهل العرفان في علوم القرآن**: ج 1، ص 39 - 40

[19] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن؛ **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 27

[20] انظر: المصدر السابق،

[21] هذه الحكمة تصلح إدراجها في قائمة الحكم الدينية والاجتماعية أيضا.

[22] هذه الحكمة تصلح أن تكون معرفية أيضا

كفره، وكان بوسعه أن يسلم نفاقاً ولكنه بقي على حاله حتى وافاه الأجل[23]، قال تعالى:﴿ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ﴾، [المسد: ١]، وقال تعالى: ﴿ ه ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ﴾ [الروم: 2-4]، وفي هذا الصدد يقول فضيلة أ.د. محمد عبد الله دراز رحمه الله تعالى: "... وهنا نتساءل: كيف اتسق القرآن هذا التأليف المعجز وكيف استقام له هذا التناسق المدهش على حين إنه لم ينزل جملة واحدة بل مفرقاً تفرق الوقائع. الجواب:إنا نلمح هنا سراً جديداً من أسرار الإعجاز ونشهد سمة فذة من سمات الربوبية و نقرأ دليلاً ساطعاً عن مصدر القرآن قال تعالى: ﴿چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ﴾، [النساء: 82] [24].

5. ذكر الإمام الشوكاني قول النحاس رحمه الله قائلاً: " وقال النحاس وكان ذلك أي إنزال القرآن منجماً من أعلام النبوة لأنهم لا يسألونه عن شيء إلا أجيبوا عنه وهذا لا يكون إلا من نبي، فكان ذلك تثبيتاً لفؤاده و أفئدتهم " [25].

المطلب الثاني: الحِكم التربوية المعرفية

1. تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم لمواجهة التحديات والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والأخلاقية الصعبة، و حثه على الصبر أمام السلوكيات القمعية التي كان يتعرض لها من قبل المشركين. فالله عز وجل كان يقص عليه أنباء الرسل السابقين من أولي العزم وغيرهم حتى يقتدي بهم صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ □ بم ﴾، [الأحقاف: 35]. ففي التنجيم تقوية لقلبه صلى الله عليه وسلم وتسلية له، وتجديد لعهده مع جبريل عليه السلام لكي يكون القرآن الكريم له نافذة أمل وبسمة رجاء يمده بالقوة ويعده بالنصر مرة بعد مرة، لأنه صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا، يصيبه ما يصيبنا من الحزن والفرح والضعف والقوة والهم والغم والموت والحياة، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ئى ئى ئى ی ی ی ی﴾، [الفرقان:32]، وقوله تعالى:﴿ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ

[23] المرجع السابق: 103

[24] انظر: دراز، عبد الله؛ **النبأ العظيم**: ص61

[25] الشوكاني، محمد؛ **تفسير فتح القدير**، ج 4، ص: 74

ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﴾، [هود:120]. وقال تعالى: ﴿ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﴾، [النحل:127]

2. مواكبة الأحداث الجسام[26]، ومواكبة مراحل الدعوة في المرحلة المكية أولاً والمرحلة المدنية ثانية. وكان القرآن هو المدد الإلهي المتجدد الذي يبعث الحياة في المجتمع الإسلامي الوليد لكي ينتقل المجتمع الإسلامي الجديد من جاهلية إلى إسلام ومن الفوضى إلى النظام[27]، والمرحلة المكية في الدعوة احتاجت إلى الصبر والثبات أمام الطغاة وصناديد الكفر، يدل على ذلك قوله تعالى:﴿ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ﴾، [الحجر: 97]، وقوله تعالى: ﴿ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ﴾[النحل:127]، وقوله تعالى: ﴿ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﴾[يونس:109]، وقوله سبحانه: ﴿ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ﴾[هود: 115]، وقوله تعالى:﴿ ﯾ □ □ □ □ □ □ □ □ ﰀ ﰁ ﴾[الطور:48]، وقوله تعالى: ﴿ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ﴾[المزمل: 10]، وقوله تعالى:﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ □﴾،[هود: ١٢]، قوله تعالى:﴿ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ﴾[الكهف: ٦].

3. مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها، فكلما جدت حادثة أو وقعت واقعة نزل القرآن حَكَماً عدلاً في فصل القضية، وتشتمل هذه الحكمة أمرين اثنين: أولاها: إجابة السائلين على أسئلتهم عندما يوجهونها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في شتى المجالات، ومن خلال تنجيم القرآن تَبيَّن لنا حال المؤمن حينما كان يستفتي و يسترشد، و تبين لنا حال المكذب حينما كان يستشكل و يجادل[28]. تدل على ذلك آيات كثيرة، قال تعالى:﴿ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ﴾[البقرة:189]، وقوله تعالى:﴿ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ □ □ □ □ □ □ □ □﴾[البقرة:215]، وقوله تعالى:﴿ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ﴾ [البقرة:217]، وقوله تعالى:﴿ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ □﴾[البقرة: 219]، وقوله تعالى: ﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ﴾ [البقرة:220]، وقوله تعالى: ﴿ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ﴾[البقرة: 222]، وقوله تعالى:﴿ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ﴾ [المائدة: 4]، وقوله تعالى:﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ﴾ [الأنفال: 1]، وقوله تعالى : ﴿ □ □

[26] هذه الحكمة تصلح أن تكون حكمة اجتماعية أيضا.

[27] انظر: حوى، سعيد؛ **الأساس في التفسير** ، ج 7 ص: 3874

[28] انظر: المرجع السابق، ص 139 - 162

□ □□ ﴾ [الكهف: 83]، وقوله تعالى:﴿ ک ک گ گ گ گ گِ﴾[طه: 105]. وثانيها: مجاراة الأقضية والوقائع في حينها ببيان حكم الله فيها عند حدوثها. وهذه الوقائع وقعت تفصيلاً ولم تقع جملة، فلا مناص إذاً من فصل الله فيها بنزول القرآن على طبقها تفصيلاً وتدريجاً. والأمثلة كثيرة، مثل قصة حادثة الإفك، قال تعالى:﴿ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ﴾، [النور: 11]، وقصة المشتكية إلى الله، قال تعالى:﴿ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ﴾،[المجادلة:1]، وغيرها ..[29].

4. تصويب حركة التطبيق والتنفيذ أو الدلالة على مواطن الخطأ ووجوه التقصير في تنفيذ الأحكام والتشريعات[30]، أو وجود ضعف في صفوف المسلمين، ويدل على ذلك قوله تعالى:﴿چ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ﴾،[التوبة:43]، وقوله تعالى:﴿گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮫ ﮫ ﮬ ﮬ ۇ ۇ ۆ﴾،[الأنفال:66]، وقوله تعالى:﴿ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ﴾، [الأنفال: ٦٧]

5. إن هذا النزول المنجم للقرآن الكريم هيأ الفرصة لضم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى سائر قصص الأنبياء والمرسلين وحياة الأمم السابقين وأحداث التاريخ الكبرى منذ آدم عليه السلام، وهي الأحداث التي ختمت بأعظم وقائع التاريخ الإنساني وهي واقعة بعثة نبينا محمد بن عبد الله ونزول القرآن الكريم. يدل على ذلك قوله تعالى﴿ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۆ ﴾، [الأحقاف:35]، وقوله تعالى: ﴿چ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ﴾،[الشورى: 13].

6. التدرج في التشريع والتكليف وإزالة المنكرات والظواهر السلبية والانتقال المتدرج من الأحكام المؤقتة أو المرحلية إلى الأحكام النهائية الدائمة المستقرة[31]، وذلك في الأمور المتمكنة من الأفراد والمجتمع، لاسيما المجتمع الجاهلي حتى يتخلى عن مفاسده والعادات المتعلقة بأخلاقهم وعقيدتهم فإنه لابد من الوقت والمهلة، لأنه من العسير جداً تغييرهم في وقت قصير،[32] والوقت الكافي عامل مهم في المعالجة وتربية الأمة الناشئة وإعدادها لبنة لبنة بحيث يتم بناؤها في نهاية المطاف من خلال الهدي الإلهي. إن

---

29 دراز، عبد الله، **النبأ العظيم**: ص 58 – 61، و انظر: حوى، سعيد؛ **الأساس في التفسير** – ج7 ، ص 3864

30 انظر: زرزور، عدنان؛ **مدخل إلى تفسير القرآن و علومه**: ص 97 - 98

31 هذا الدرس أو هذه الحكمة يصلح أن تكون حكمة تربوية أيضا لاشتمالها على أهداف تربوية و سلوكية.

32 انظر: زرزور، عدنان؛ **مدخل إلى تفسير القرآن**: ص: 92

للتدرج في نزول القرآن أسلوباً من أساليب المعالجة الفكرية والاجتماعية والثقافية والعقدية، سواء انتقلت دلالة الآية من تكليف أثقل إلى تكليف أخف أو العكس أو كان الحكم مساوياً و مماثلاً لحكم آخر، وفي هذا درس عظيم وعبرة لأولي الألباب من الأطباء والمدرسين والمعلمين والعلماء والدعاة وجميع المشتغلين بإصلاح الناس عقدياً أو أخلاقياً أو نفسياً أو تربوياً، لأن منهج الدعوة في دور التأسيس يختلف عن مسلكها في مرحلة التكوين والبناء ومرحلة النضج والاستواء وقد ظهر هذا جلياً في مراحل تحريم الخمر، حيث كانت الآية الأولى في مراحل تحريم الخمر قوله تعالى: ﴿ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ﴾، [النحل: ٦٧]، وكانت الآية الثانية:﴿ ۋ ې ې ېې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇئۆ ﴾، [البقرة:219]، وفي المرحلة الثالثة نزل قوله تعالى:﴿ڭ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے﴾،[النساء:43]، وكانت المرحلة الرابعة الحاسمة في تحريم الخمر قوله تعالى:﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ﴾، [المائدة:90]. وقد حدث هذا أيضاً في حكم الجهاد بالسيف حيث إنه لم يكن مأذوناً به أول الأمر في مكة ثم نزل الإذن بالقتال في أول عام بعد الهجرة، ثم بعد ذلك نزل ما يدل على وجوب الدفاع عن النفس بالقتال. حيث كانت الآية الأولى في هذه المرحلة التأسيسية في مكة للمجتمع المسلم الجديد الأمر بالكف والصبر والصفح قوله تعالى: ﴿ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﮮ ﮮ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ﴾، [النساء:77]. ولما اشتد إيذاء المشركين على المسلمين أذن الله لهم بالرد والدفاع قوله تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ﴾،[الحج:39]. ثم لما اشتدت قوة المسلمين وكثر عددهم أمرهم الله تعالى بقتال الذين يقاتلونهم وقتال المشركين كافة، قال تعالى: ﴿ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە﴾، [التوبة: 36] ، وقال تعالى: ﴿ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ﴾،[التوبة:29]، قال تعالى:﴿ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی﴾ [البقرة: 190]، ثم كانت المرحلة النهائية حاسمة وصعبة على المسلمين حيث أمرهم القرآن الكريم بالجهاد والقتال وفرض ذلك عليهم وهو عليهم شاق. قال تعالى:﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ﴾، [البقرة:216]. وكما قال الإمام ابن القيم فإن القتال في أول الأمر كان: " محرماً ، ثم مأذوناً به، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين.."[33]

---

[33] ابن القيم، **زاد المعاد**، ج1، ص 30

7. التربية من خلال الواقع المعاش ومواجهة الحياة بمختلف ظروفها. وهذا أدعى إلى بيان الواقعية في هذا الدين وأن أحكامه أحكام عملية لا نظرية، وأدعى إلى الفهم والتدبر والمسارعة في التنفيذ. ولو تم نزول القرآن الكريم جملة واحدة لتحول سريعاً إلى كلمة مقدسة خامدة، وإلى فكرة ميتة وإلى مجرد وثيقة دينية، لا مصدراً يبعث الحياة في حضارة وليدة. فالحركة التاريخية والاجتماعية والروحية التي نهض بأعبائها الإسلام لا سر لها إلا في هذا التنجيم[34]. يدل على ذلك قوله تعالى:﴿ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ېې ىىئائائەئەئو﴾،[التوبة:105]،وقوله تعالى:﴿ ئو ئۇ ئۇئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې﴾،[السبأ:13]، وقال تعالى:﴿ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ﴾،[آل عمران:133].

8. قوله تعالى:﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ﴾ [الفرقان: 33]، فيه متابعة جدليات الذين كفروا فيما يقدمونه من أمثلة يصطنعونها بآرائهم يرون أنها هي الصور الأفضل التي ينبغي أن يكون عليها حال الرسول أو حال القرآن أو حال أحكام الشريعة و المنهاج [35].

9. تسهيل حفظ القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم و المؤمنين كلون من ألوان الحفظ الذي تكفل الله تعالى بحفظ القرآن، حيث إنه صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فنزوله منجماً ساعد الرسول على تدبره وحفظه، بل حتى هذا القدر اليسير الذي كان يتنزل عليه في فترات مختلفة كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخشى من ذهابه ونسيانه. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ئې ئى ئى ئى ی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ بج بح □ □ □ □ □ ﴾،[القيامة:16-19]، وقال تعالى:﴿ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ﴾ [الإسراء: 106].

10. هناك سر لغوي أو لطيفة بلاغية في قوله تعالى:﴿ ئى ئى ی ی ی ی □﴾ هي: أن الترتيل هو التمهل والتأني في الكلام والتبيين له للتمكين والتحقيق وبناء المعرفة في المتلقين بناء تكاملياً، وذلك لا يحصل بإنزاله جملة واحدة، بل يحصل بإنزاله في دروس تعليمية قسماً بعد قسم مع الاستفادة من الأحداث والمناسبات. وقد جاء شرح هذه الحكمة في قوله تعالى في سورة الإسراء:﴿ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ﴾ [الإسراء:106]، أي على تمهل وتوقف وانتظار، ونزلناه بأناة وتمهل وتحقيق مع كل قسم ينزل منه، فالتأكيد بالمفعول المطلق للإشارة إلى نوع التنزيل.

ثالثاً: الحِكم الاجتماعية:

---

[34] انظر: بن نبي، مالك؛ **الظاهرة القرآنية**، ص: 175

[35] انظر: الميداني، عبد الرحمن حبنكة؛ **تدبر سورة الفرقان**: ص: 176 – 178

1. على الصعيد الاجتماعي أراد الإسلام أن يحفظ على هذه الأمة اعتدالها وتوازنها وأن يجعلها وسطاً في عقائدها وأخلاقها وعباداتها ومعاملاتها، فمهد لذلك بتصحيح مقاييسها ودعوتها إلى ما يحييها. فلما اتفقت جماعة من الصحابة على أن يجبُّوا أنفسهم ويعتزلوا النساء ولا يأكلوا لحماً ولا دسماً ولا يأكلوا من الطعام إلا قوتاً [36]، فأنزل الله تعالى:﴿ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ﴾، [المائدة: 87].

2. إن من حِكم التنجيم رسم وانعكاس صورة المجتمع الآخر أو الفئات الثانية من المنافقين والمشركين وفضح سرائرهم ونواياهم مؤامراتهم[37]، وموالاة تقريع الكفار بالحجة بعد الحجة وتجديد تذكيرهم بانحرافهم وسوء عقيدتهم. ولو نزل القرآن دفعة واحدة لواجه الكفار التقريعات وتألموا لها أول مرة ثم ألفوها ونسيها الناس[38]. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ﴾، [التوبة: 64]، وقال تعالى:﴿ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾ [التوبة:124-127]، وقوله تعالى: ﴿ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ﴾،[الأنفال: ٣٠]، وقوله تعالى:﴿ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ □﴾،[يوسف:١٠٢]، وقال تعالى:﴿ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ﴾،[المنافقون: ١]، وقوله تعالى:﴿ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ﴾،[النور: ٥٠]، وقوله تعالى:﴿ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى﴾،[محمد:29]،وقوله تعالى:﴿ڍڌڌ ڎڎڈڈژژڑڑکک﴾،[البقرة:10]،وقوله تعالى:﴿ڱںںڻڻۀۀہہھھےے﴾،[الأحزاب:12]، وقوله تعالى:﴿ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ﴾، [الأحزاب:32]، وقوله تعالى: ﴿ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ﴾، [المائدة:52].

3. وعلى الصعيد الاجتماعي أراد الإسلام أن يحفظ على هذه الأمة اعتدالها وتوازنها وأن يجعلها وسطاً في عقائدها وأخلاقها وعباداتها ومعاملاتها، فمهد لذلك بتصحيح مقاييسها ودعوتها إلى ما يحييها فلما اتفقت جماعة من الصحابة على أن يجبُّوا أنفسهم ويعتزلوا النساء ولا يأكلوا لحماً ولا

---

[36] انظر : الزرقاني، عبد العظيم؛ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج1، ص: 61 – 62

[37] زرزور، عدنان؛ **مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه**: ص:89 – 92، طعيمة، صابر؛ **هذا القرآن قصة الذكر الحكيم**: ص: 25-27

[38] أبو سليمان، صابر حسن محمد؛ **روائع البيان في علوم القرآن**:ص: 41 - 42

دسماً ولا يأكلوا من الطعام إلا قوتاً [39]، فأنزل الله تعالى:﴿ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ں ڻ ڼ ڽ ﴾، [المائدة: 87].

4. وقد رأيت كلاماً جميلاً للإمام الفخر الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ ﴾، [الفرقان: 32]، وقد جمع فيه رحمه الله الحكم والدروس الدينية والمعرفية والاجتماعية أرى من الضروري ذكرها مجتمعة هنا – تحت المطلب الثالث– فإليك كلامه رحمه الله:

" اعلم أن هذا هو الشبهة الخامسة لمنكري نبوه محمد صلى اللَّه عليه وسلم، وأن أهل مكة قالوا تزعم أنك رسول من عند اللَّه أفلا تأتينا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة جملة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود..،أجاب اللَّه بقوله : ﴿ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﴾ وبيان هذا الجواب من وجوه : **أحدها**: أنه عليه السلام لم يكن من أهل القراءة والكتابة فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبطه ولجاز عليه الغلط والسهو، وإنما نزلت التوراة جملة لأنها مكتوبة يقرؤها موسى..، **وثانيها**: أن من كان الكتاب عنده، فربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ فاللَّه تعالى ما أعطاه الكتاب دفعة واحدة بل كان ينزل عليه وظيفة ليكون حفظه له أكمل فيكون أبعد له عن المساهلة وقلة التحصيل..، **وثالثها**: أنه تعالى لو أنزل الكتاب جملة واحدة على الخلق لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة على الخلق فكان يثقل عليهم ذلك، أما لما نزل مفرقاً منجماً لا جرم نزلت التكاليف قليلاً قليلاً فكان تحملها أسهل..، **ورابعها**: أنه إذا شاهد جبريل حالاً بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته فكان أقوى على أداء ما حمل، وعلى الصبر على عوارض النبوة وعلى احتماله أذية قومه وعلى الجهاد..، **وخامسها**: أنه لما تم شرط الإعجاز فيه مع كونه منجما ثبت كونه معجزاً، فإنه لو كان ذلك في مقدور البشر لوجب أن يأتوا بمثله منجما مفرقاً..، **وسادسها**: كان القرآن ينزل بحسب أسئلتهم والوقائع الواقعة لهم فكانوا يزدادون بصيرة، لأن بسبب ذلك كان ينضم إلى الفصاحة الإخبار عن الغيوب..، **وسابعها**: أن القرآن لما نزل منجماً مفرقاً وهو عليه السلام كان يتحداهم من أول الأمر فكأنه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل أولى. فبهذا الطريق ثبت في فؤاده أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة..، **وثامنها**: أن السفارة [40] بين اللَّه تعالى وبين أنبيائه وتبليغ كلامه إلى الخلق منصب عظيم فيحتمل أن يقال إنه تعالى لو أنزل القرآن على محمد صلى اللَّه عليه وسلم دفعة واحدة لبطل ذلك المنصب على جبريل عليه السلام فلما أنزله مفرقا منجماً بقي ذلك المنصب العالي

[39] انظر : الزرقاني، عبد العظيم؛ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج1، ص: 61 – 62

[40] أي الملائكة الكرام عليهم السلام، أو المنصب الملائكي والله أعلم.

عليه فلأجل ذلك جعله الله سبحانه وتعالى مفرقا منجماً...أما قوله تعالى: ﴿ ﯾ ﯿ﴾ فمعنى الترتيل في الكلام أن يأتي بعضه على أثر بعض على تؤدة وتمهل. وأصل الترتيل في الأسنان، وهو تفلُّجها، يقال ثغر رتل وهو ضد المتراص، ثم إنه سبحانه وتعالى لما بين فساد قولهم بالجواب الواضح قال: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﴾ من الجنس الذي تقدم ذكره من الشبهات إلا جئناك بالحق الذي يدفع قولهم، كما قال تعالى: ﴿ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﴾، [الأنبياء : 18] وبين أن الذي يأتي به أحسن تفسيراً لأجل ما فيه من المزية في البيان والظهور، ولما كان التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه ، فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا[41].

الرازي، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين؛ **تفسير مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001، ج24، ص 457

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته وقوته وفضله تتم الصالحات وتنجز الأعمال المباركات، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف المخلوقات سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله الذي أخرجنا من الظالمات إلى طريق الهدى والرشاد، وعلى آله وأزواجه الطاهرات وأصحابه الشرفاء أهل القربات، ومن سار على هديهم واقتفى سنتهم إلى أن يقوم الناس لرب الأرض والسموات. أما بعد:

فبعد هذه الرحلة الممتعة في عالم وحِكم وأسرار تنجيم القرآن، تبين لنا بصدق وجلاء صدق هذا القرآن الكريم على أنه من لدن رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين. كما تبين لنا من خلال ظاهرة تنجيم القرآن الكرم صدق نبوة هذا النبي الأمي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى، والذي أرسله الله بشيراً ونذيراً إلى الناس أجمعين. لقد أراد الله سبحانه وتعالى رب السماوات والأرضين من وراء هذا التنجيم لكتابه الكريم على رسوله الأمين أن يهدينا سواء السبيل وأن يرينا صراطه المستقيم، كما أنه سبحانه أراد أن يثبتنا على هذا النهج القويم ببركة منهجية التشريع المتدرج والتكليف المرحلي، وأن يرينا السبيل الأمثل والمنهاج الأقوام في كيفية تربية الناشئة والمجتمع بكافة أطيافه أجمعين، وأن يقول الله للعالمين إن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل، عسى أن توفقوا في الدنيا وأن تكونوا من الناجحين، وأن تحشروا مع النبيين والصديقين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. فالحمد لله على نعمة الإسلام والقرآن أولاً وآخراً، وله الفضل والمنة سبحانه على أن هدانا للإيمان والإسلام وما كنا لنهتدي لو لا هداية الرحمن الملك الديان. فيا رب بجاه حبيبك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ مقاصدنا إلى ما تحبه وترضى وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

الفقير إلى عفو مولاه في كل أحواله غفر الله له ولوالديه

الدكتور خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

أستاذ التفسير والدراسات القرآنية –كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

drhafezi68@gmail.com

المصادر والمراجع

1. ابن عاشور، محمد الطاهر؛ **تفسير التحرير و التنوير**، الدار التونسية للنشر، ط.د، ت.د،
2. حوى، سعيد؛ **الأساس في التفسير**، دار السلام للطباعة والنشر ط1، 1985
3. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي؛ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر للطباعة والنشر. دون ذكر الطبعة
4. قطب، سيد؛ **في ظلال القرآن**، دار الشروق- ط11، القاهرة
5. الشوكاني، محمد بن علي؛ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، المتوفى بصنعاء 1250هـ- تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة دار الوفاء للطباعة والنشر ط1، 1994، المنصورة
6. الميداني، عبد الرحمن حبنكة؛ **تدبر سورة الفرقان في وحدة موضوعية**، دار العلم، دمشق ط1، 1991
7. أبو سليمان، صابر حسن محمد؛ **روائع البيان في علوم القرآن**، ط1، 1988، المكتب الإسلامي، بيروت.
8. القطان، مناع؛ **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 2000
9. الكيلاني، ماجد عرسان؛ **التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند المسلم المعاصر**، مؤسسة الريان، ط1، 1997، لبنان،
10. يالجن، مقداد؛ **سبل النهوض بالطلاب خلقياً وعلمياً إلى مستوى أهداف الأمة**، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1999
11. البخاري، محمد بن إسماعيل: **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه**، تحقيق: محب الدين الخطيب، الناشر :المكتبة السلفية، القاهرة، ط1،1400 هـ،
12. **سنن ابي داود**، بتحقيق وتعليق محمد ناصر الدين الألباني، دار الأندلس، ط1، 2005
13. السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين؛ **الإتقان في علوم القرآن**، الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426 هـ، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية
14. أبو شهبة، محمد؛ **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، دار اللواء للنشر والتوزيع، ط3، 1987، الرياض، المملكة العربية السعودية.
15. حوى، سعيد؛ **الأساس في التفسير**، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1985
16. زرزور، عدنان؛ **مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه**، دار عمار، ط3، عمان.

17.دراز، عبد الله، **النبأ العظيم**، دار القلم/ الكويت، دون ذكر للسنة والطبعة.
18.طعيمة، صابر، **هذا القرآن قصة الذكر الحكيم**، تدويناً وتفكيراً، 1979، دار الجيل
19.بن نبي، مالك؛ **الظاهرة القرآنية**، دار وهبة، القاهرة، ط2، 1980
20.ابن القيم، **زاد المعاد**، ط2، 2001، دار ابن حزم، الرياض، المملكة العربية السعودية
21.الرزقاني، عبد العظيم؛ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2006
22.الرازي، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين؛ **تفسير مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001